أبو الهذيل العلاف

حياته وفلسفته

١ — تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الاسلامية ثقافات مختلفة لأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات ويحببونها الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتى اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والدهرية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدوا بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة عاصمة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء بعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثنوية والدهرية في أمور التوحيد ، ويناظرون المجبّرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية للرد على الملحدين فاختار المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتنكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد سبيل من قبله من الخلفاء في تعقبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — نشأة أبي الهذيل : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المفعم بالحياة الدينية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة السفاح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل ان ابا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعت اليه قمطرين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد . ويظهر أن نبوغ ابي الهذيل ، لا يرجع الى ما قبسه من هذه الكتب ، ولا الى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل فحسب ، بل يعود الى استعداده الفطري وذكائه الحاد . فقد اتفقت الروايات على ان نبوغه كان مبكراً ، وانه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ما تكلم قال ابو الهذيل :

« كنت أختلف الى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعمي ، يا عم ، امض بي الى هذا اليهودي أكلمه ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي اليه . وما عليك مني غلبني أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى ان نتفق على غيره فنقربه . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك او تسألني ، فقال لي يا بني ، أوما ترى ما أفعله بمشايخك ؟ فقلت له دع عنك هذا واختر ، اما أن تسألني ، أو اسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك . فقلت له : ان الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما اني أقر بنبوة موسى الذى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وامر باتباعه ، وبشر به وبنبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يخرق . فتحير لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كانت التوراة التي أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوة نبيي محمد فهي التوراة الحق ، وان كانت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وانا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت انه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فسارني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكنى . وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت على من كان بالمجلس فقلت اعزكم الله . اليس قد وقفتم على مسألته اياي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت أليس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني . وانما قدر ان اثب به فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه . وقد عرفتكم شأنه بعد انقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه »[1] .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلها في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسر من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قبيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٦٦ - ٣٧٠ راجع ايضاً . امالي السيد المرتضى : ص - ١٢٦ . نكت الهميان في نكت العميان ، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، مصر . المطبعة الجمالية سنة ١٩١١ ص - ٢٧٧ - ٢٧٩ . عيون التواريخ ، لمحمد بن شاكر الكتبي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦٧ ص ١٢٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يستعمل النظر في احكام النجوم وقضائها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من الفضل بن السهل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . والزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشاركهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروى ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام ، فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن إباض الخارجي . وهشام بن الحكمي الرافضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد بيحيى بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكن له العداوة . فقد استشفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفاً ليحسن ظنه من غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الغنى فأجبه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بحضرته اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلسه ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لتوفيه بمعرفته حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الأحكام . قال ذلك عمل باطل . أفنسأله قال : سل . فأخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا . قال تأكلها . فوضعها ابو الهذيل . وقال : لست آكلها . قال فتعيدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال له الحسن: لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأكلها ، فآكلها خلافاً عليه فيقول: قد اصبت في المسألة الأولى .

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة بسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له: قال سليمان الرقي فمررت به فقلت له يا أبا الهذيل انتزل في هذا المنزل فأنشدني:

يقولون زين المرء يامي رحله الا ان زين الرحل يامي راكبه

وفي سر من رأى مات ابو الهذيل . واختلفوا في تاريخ موته . فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم . قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين . وقال صاحب كتاب المصابيح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الواثق في مجلس التعزية . وهذا يدل انه مات في ايام الواثق . وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين . ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره .

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتها مما تبعثر من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة . وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا منزلته احسن تبيين .

٣ — أخلاق أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً . فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس . مثال ذلك انه اهدى الى مويس دجاجة ، وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه ، اظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها . فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة . قال كانت عجباً من العجب ، فيقول وتدري ما جنسها ، وتدري ما سنها . فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والسن . وتدري بأي شيء كنا نسمنها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة . وان ذكروا بضة او جزوراً او بقرة . قال فأين كانت هذه الجزور في الجزر ، من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة الشحم قال عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ، قال ذلك بعد ان احدثها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء [١] .

ولعل البخل هو الصفة الجامعة لسائر صفات ابي الهذيل القبيحة ، لأن حرصه الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للبخيل من ان ينافق ويصانع في التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا ابا جعفر : اني رجل مخرق الكف لا اليق درهماً . ويدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الانفاق خرقاء . كم من مائة الف درهم قسمتها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك . أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما اشك فيما تقول . قال فلم يرض ان حضرت حتى استشهدني . ولم يرض باستشهادي حتى استحلفني [٢] » .

ولم يكن بخله الشديد الاصفة متممة لطمعه ، وحبه للظهور ، واهتمامه برأي الناس فيه . حتى قال بشر بن المعتمر : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم ، وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية ، احب اليه من ان يكون من العلية ، وهو عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر ، احب اليه من ان يكون نبيل المخبر ، سخيف المنظر . وهو بالنفاق اشد عجباً منه بالاخلاص . ولباطل مقول احب اليه من حق مدفوع » [٣] .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل . فهو الذي وصفه بالبخل الشديد ،

---

(١) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البخلاء ، ص — ٦٤

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واسهلهم سهولة . ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأيناه يصف الدجاجة التي اهداها الى مويس ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابو الهذيل معنى ضحكهم وسخريتهم لسلامة صدره وسهولة اخلاقه . وقد رأيناه ينزل بسر من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ظواهر المرء لا تدل على قيمته الحقيقية .

ولعل ميله الى الشهرة وطموحه واهتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد يدفعه في بعض الأوقات الى التظاهر بالتقشف والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة من وسائط الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة . حتى لقد ذكر صاحب المنية والأمل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان ستين الف درهم في السنة ويفرقها في بعض الأحيان على اصحابه .

ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ، فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سهل الأخلاق ، محباً للظهور ، متقشفاً ، متظاهراً بالكرم ، موضعاً للاعجاب والسخرية معاً .

٤ — كتب أبي الهذيل

وليست هذه الصفات بقادحة في علم ابي الهذيل وقيمته الفكرية والفلسفية ، فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق له من قوة الحجة ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد الف ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه الكتب بين أيدينا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨ عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدير . ومجنون الدير هذا هو شخصية وهمية تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما اشهر كتبه الأخرى فهي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — كتاب متشابه القرآن ذكره ابن النديم في الفهرس

٢ — كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسيًا أسلم على يد ابي الهذيل . وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية فقطعهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .

٣ — كتاب القوالب في الرد على الدهرية

٤ — كتاب الرد على النظام

٥ — كتاب الحجج

٦ — كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .

وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، والمواقف للايجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخياط لكنا اليوم لا نعرف شيئًا عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

٥ — سيرة أبي الهذيل

لم تنتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت ايضًا على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سليمان ابن مرهم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده أهل الحديث لخبث قوله وكذبه ومفارقته اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن قتيبة ان أبا الهذيل كان كذابًا أفاكًا . وشارك ابو الهذيل أيضًا في الأدب فحفظ كثيرًا من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :

دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هاشم سبيل ليس الى وصله سبيل
للحسن في وجهه هلال لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقيل
فان يقف فالعيون نصب وان تولى فهن حول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين . هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضول . ومن كلمة يقول فيها :

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقدم

وقال النظام : ما أشفقت على ابي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث اسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانته فقال برغوث :

وما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

ولم اعرف في نقيضه بيتاً يتمثل به . فبرز ابو الهذيل وقال لا بل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن بجيلة انني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يجلونه ويعظمونه لسعة علمه وكثرة حفظه وسرعة خاطره . قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي يا ابا معن وابو الهذيل يقول لي يا ثمامة . فكدت اتقد غيظاً . فلما احتفل المجلس استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فقلت له ان شئت فكنني ، وان شئت فسمني . وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركابه حتى ينزل فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة .

وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته . قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوائب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الثكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعرفة ابي الهذيل بجيد الكلام ، جعلت المبرد يقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من ابي الهذيل لقد كان ابو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الانتصار ، كان ابو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا ابا الهذيل كانوا يقرون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجة ، حتى لقد قال ابن النديم كان ابو الهذيل شيخ البصريين ومن اكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان ابو الهذيل حسن الجدال ، قوي الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات . وذكروا ان النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى انه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق عليه الى ابي الهذيل العلاف ، قال فناظرت ابا الهذيل في ذلك ، فخيل لي انه لم يكن متشاغلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان ابو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظام ابا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه ابو الهذيل مسألة الذرة والنعل ، وهو أول من استنبطه فتحير النظام في ذلك فلما جنّ الليلُ نظر اليه ابو الهذيل ، واذا النظام قائم ، ورجلاه في الماء يتفكر ، فقال يا ابراهيم هذا حال من يناطح الكباش .

وكان ابو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكي انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الانسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قرأه ، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له ابو الهذيل فشك أنت ، في موت ابنك ، واعمل على انه لم يمت ، وان كان قد مات ، وشكّ أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وان كان لم يقرأه .

وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبقر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ملائكة الله ، قصّ اجنحتها وحطّها الى الأرض ، يحرث عليها ، فقلت فالماء قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته ، قلت من يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شرّ من المجوس اخذوا ملائكة الله ، فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوّوها ببنت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان ، وفاقته ثم سلخوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع المجوسي وخجل .

وكان أقدر على اقناع العلماء منه على اقناع العامة . قيل له مرة إنك لتناظر النظام وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظرك زنجويه الحمالُ فيقطعك في ساعة ، فقال ياقوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا ينحرف أحدنا عنها الا بقدْر ما يراه صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمله على سَننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه الحمال ، فانه يبتدي معي بشيء ثم يَطفِرُ الى شيء آخر بلا واصلة ولا فاصلة ، وابقى ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لعجزي عن رده الى سَنن الطريق الذي فارقني فيه آنفاً .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ، وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والاقناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي سلكها ابو الهذيل ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ، فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ؛ في حقيقة الاله والكون والانسان .

(يتبع) جميل صليبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net